

تفسير سورة
النبأ
﴿عم يتساءلون﴾

سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيْمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
 كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سِعَامُونَ ﴿٥﴾ اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾
 وَالْجِبَالَ اَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنٰكُمْ اَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
 ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَاَنْزَلْنَا
 مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا
 الْاَفَاقَ ﴿١٦﴾ اِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْخَخُ فِي الصُّورِ
 فَنَاتُونَ اَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ اَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ اِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّلِغِيْنَ
 مَنَابًا ﴿٢٢﴾ لَيَبِيْنُ فِيهَا اَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُوْنَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
 ﴿٢٤﴾ اِلَّا حَمِيْمًا وَّعَسَافًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ اِنَّهُمْ كَانُوْا
 لَا يَرْجُوْنَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ
 اَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُقُوْا فَلَنْ تَزِيْدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأَسَاءَ
 دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً
 حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
 مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
 إِلَّا مَن أَدِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن
 شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
 يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾



obeikandi.com

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]
الإملاء على سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾

﴿عَمَّ﴾ أصله عم ما: أي عن أي شيء ﴿يتساءلون﴾ ﴿١﴾
يعني الكفار، فإنهم كان يسأل بعضهم بعضاً ما هذا الذي أتى به
محمد: أهو سحر أم جنون، وهم ﴿الذين جعلوا القرآن
عضين﴾^(١) أي قسّموه أقساماً، وعضّوه أعضاء. وسقطت الألف من
عم^(٢) كفظائها: فيم، ولم، ومم، وعلام، وإلام، وحتّام^(٣).

﴿عن النبأ العظيم﴾ ﴿٢﴾ كلام مستأنف، أي يتساءلون عن
النبأ العظيم: وهو القرآن. والنبأ: الخبر، والقرآن إخبار بأمر
عظيمة: ﴿قل هو نبأ عظيم﴾^(٤).

﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ ﴿٣﴾ كلّ منهم يقول شيئاً كما
سبق قوله.

﴿كلّا سيعلمون﴾ ﴿٤﴾ هي إمّا بمعنى حقاً كما قال بعضهم،

(١) سورة الحجر: الآية ٩١.

(٢) في الأصل (عَمّا).

(٣) المشكل ٤٤٩/٢، والبحر ٤١٠/٨.

(٤) سورة ص: الآية ٦٧.

أو أنها زجر لهم عن التساؤل عن القرآن، أي لا يتساءلون عنه، فإن أمره أظهر من أن يسأل عنه.

﴿ثم كلاً سيعلمون﴾ ﴿٥﴾ تأكيد بال تكرار. وفي سورة
﴿الهاكم التكاثر﴾ وقع هذا بلفظ ﴿سوف﴾^(١) وهي أشد تراخياً من
السين.

قوله عز وجل: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ ﴿٦﴾ هذا إنكار
عليهم ترك النظر في هذه الأشياء الدالة على صانعها، وذلك
يقتضي وجوب النظر على المكلفين. ﴿قل انظروا﴾^(٢) ﴿أو لم
يتفكروا﴾^(٣)، ﴿أو لم ينظروا﴾^(٤) ونحو ذلك يدل عليه. (والمهاد)
الفراش الوطيء الذي لا أذى في افتراشه. وجعل الأرض مهاداً:
تصويرها كذلك، فإنها في أول خلقها كانت رابية مجتمعة لا يستقر
الخلق عليها، فدحيت حتى صارت فراشاً وبساطاً ﴿لتسلكوا منها
سُبُلًا فجاجاً﴾^(٥).

قوله عز وجل: ﴿والجبال﴾ عطفاً على ﴿الأرض﴾ أي
ونجعل الجبال ﴿أوتاداً﴾ ﴿٧﴾ أي نمسكها أن تميد، كما تمسك
الأوتاد البيت أن يميل، وذلك لأن الله عز وجل لما خلق الأرض
على الماء اضطربت ومادت، فخلق عليها الجبال فسكنت، فقالت
الملائكة: ربنا، هل خلقت شيئاً أشد من الجبال؟ قال: نعم،

(١) في الآيتين ٣، ٤: ﴿كلّ سوف تعلمون. ثم كلاً سوف تعلمون﴾.

(٢) سورة يونس: الآية ١٠١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٤.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.

(٥) سورة نوح: الآية ٢٠.

الحديد يقطع الجبال. قالوا: فهل أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار تذيب الحديد. قالوا: فهل أشد من النار؟ قال: نعم، الماء يطفىء النار. قالوا: فهل أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح تنشف الماء. قالوا: فهل أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه فلا تدري شماله^(١).

قوله عز وجل: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ﴿٨﴾ أي أصنافاً، العربي والعجمي ونحوهما، أو: خلقناكم ذكورا وإناثاً صالحين للازدواج، وفي ذلك نفع لكم ورحمة^(٢).

قوله عز وجل: ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ ﴿٩﴾ أي قاطعاً لتعبكم، ومحضاً لراحتكم، من قولهم سبت رأسه: إذا قطعه، ووجه الجعل فيه أن النوم قد يكون تغييباً وقطعاً للتعب وغير ذلك، فلما جعل موضوعه قطع التعب صار ذلك جعلاً وتصبيراً ونقلاً^(٣).

قوله عز وجل: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ ﴿١١﴾ أي محلاً للمعاش، ووجه الجعل فيه نحو ما سبق ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾^(٤).

(١) في فتح الباري ١٤٧/٢ أن في مسند الإمام أحمد مرفوعاً: (إن الملائكة قالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الجبال...).

(٢) قال مكي - المشكل ٤٥٠/٢: ﴿أزواجاً﴾ نصب على الحال، أي: ابتدعناكم مختلفي الألوان وغير ذلك، وذكوراً وإناثاً، وقصاراً وطوالاً. وخلق بمعنى ابتدع فلذلك لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد.

(٣) لم يشرح المؤلف الآية العاشرة ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾.

(٤) سورة يونس: الآية ٦٧.

قوله عز وجل: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ ﴿١٢﴾ هي السماوات السبع. و ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديدة في البناء والارتفاع والصنعة والإتقان ﴿والسَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ وذكر الله عز وجل ها هنا الأرض قبل ذكر السماء، وفي «الذاريات» وغيرها بالعكس^(١)، وقد اختلف العلماء في أيهما خلق أولاً، على قولين.

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ أي خلقنا ﴿سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ ﴿١٣﴾ يعني الشمس. والوهَّاج: ذو الوهج وهو الحرّ، والوهج والهج يلتقان على معنى مشترك وهو الحدة أو نحوهما^(٢)، ويحتمل معنى الجعل في السراج لصلاحيتها للإسراج وغيره، فتخصيصها بالإسراج^(٣) فيه معنى النقل عن موضوع إلى موضوع.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ ﴿١٤﴾ المعصرات: السحاب، واشتقاقها إما من العصر، لانعصار الماء منها، أو من قولهم: جارية مُعْصِرُ أي قاربت البلوغ، إشارة إلى قرب حدوث السحاب، فيكون غالباً أكثر ماء. والثَّجَّاج «فَعَّالٌ» من الثَّجَّ، وهو الصَّبُّ، وفي الحديث: «خير الحجِّ العجِّ والثَّجَّ»^(٤). يعني صبَّ الدماء وإسالتها لتخرج، أي أنزلنا الماء ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا. وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ ﴿١٥﴾، ﴿١٦﴾ أي ملتفت بعضها ببعض و ﴿أَلْفَافًا﴾ يحتمل أنه جمع لِفَّ، ويحتمل أنه مفرد

(١) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

(٢) ينظر مقاييس اللغة ١٧/٦، ١٤٧.

(٣) في الأصل (بالإسراك).

(٤) في الترمذي - كتاب الحج ١٧٥/٣ أن النبي ﷺ سئل: أي الحج أفضل؟

فقال: «العجِّ والثَّجَّ» ومثله في ابن ماجه - المناسك ٩٧٥/٢.

من باب رمح أفصاد، وثوب أخلاق، وبرمة أعشار، وجنة ألفاف. والخارج من الأرض إما شجر أو نبات، والنبات إما مقصود الحبّ أو لا، وقد جُمعت في قوله عز وجل: ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ أي غير ذي حبّ مقصود وجنات.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفِصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ ﴿١٧﴾ هذا تنبيه على الاستدلال بإخراج النبات من الأرض على البعث، لذكره في سياقه، و﴿يوم الفصل﴾ يوم يُفصل فيه بين الخلق. (والميقات) الوقت يُجمع فيه الخلق، ﴿وكان﴾ يعني في علم الله عز وجل، إذا كان بمعنى يكون، وعُبر عنه بصيغة الماضي إشعاراً بتحقيق وقوعه.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ ﴿١٨﴾ ﴿يوم﴾ بدل من ﴿يوم الفصل﴾^(١) وتقديره: إن يوم النفخ في الصور. و﴿الأفواج﴾ الجماعات، واحداها فوج ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجًا﴾^(٢) ومقلوبة جوف، وفيه معنى الاجتماع، فإن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين ﴿يصدر الناسُ أشتاتًا﴾^(٣) أي فرادى، لأنه من الشتات وهو الافتراق؟ فالجواب: أنه يجوز أن يكونوا حال خروجهم من القبور أشتاتاً، بدليل ﴿يخرجون من الأجداث كأنهم جراد مُنتشر﴾^(٤) وبعد ذلك يتجمعون أفواجاً، بدليل ﴿..... كأنهم

(١) المشكل ٤٥٠/٢، والعكبري ٢٧٩/٢، والبحر ٤١٢/٨.

(٢) سورة الملك: الآية ٨.

(٣) سورة الزلزلة: الآية ٦.

(٤) سورة القمر: الآية ٧.

إلى نُصِبَ يوفُضون ﴿١١﴾ والأشخاص الكثيرة إذا كان مقصودهم واحداً جاءوه مجتمعين، يدل عليه أنه عز وجل قال: ﴿فتأتون أفواجا﴾ ولم يقل فيخرجون أفواجا، فحصل من هذا أن انفرادهم عند خروجهم، وصدورهم عن القبور، واجتماعهم عند وصولهم إلى المقام المشهود أو قريباً منه.

﴿وفُتحت السماء فكانت أبواباً﴾ ﴿١٩﴾ أي وتفتح عطفاً على ﴿ينفخ﴾ مستقبل على مستقبل، وتشديد ﴿فتحت﴾ ﴿٢﴾ يناسب جمع الأبواب لإفادته التكاثر. ﴿فكانت﴾ أي صارت، وهذا في معنى ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ ﴿٣﴾ وهل السماء المفتحة أبواباً هذه أو بدلها، كل محتمل، وتفتح أبوابها لنزول الملائكة، ويقال: إنَّ المَجْرَةَ شَرَحَ السماء، أي بابها المُشْرَح، يعني المسدود.

﴿وسُيِّرَتِ الجبالُ فكانتِ سُرَاباً﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿ويومَ نُسِيرُ الجبال﴾ ﴿٤﴾ ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مر السحاب﴾ ﴿٥﴾، ﴿فكانت هباءً منبثاً﴾ ﴿٦﴾، ﴿فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ ﴿٧﴾ أي صارت

(١) في الأصل (مهطعين إلى الداعي كأنهم...) وفي سورة المعارج: الآية ٤٣: ﴿يوم يخرجون من الأجدات سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ وفي سورة القمر: الآية ٨: ﴿مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسير﴾.

(٢) قراءة الكوفيين - عاصم وحمزة والكسائي ﴿وفتحت﴾ بالتخفيف، وسائر السبعة بالتشديد. السبعة ٦٦٨.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٥.

(٤) سورة الكهف: الآية ٤٧.

(٥) سورة النمل: الآية ٨٨.

(٦) سورة الواقعة: الآية ٢٦.

(٧) سورة طه: الآية ١٠٥.

رقية الجرم لنسفها وبسها، سريعة الحركة لجريها، فصارت كالسراب. والحكمة في تسيير الجبال وضعها في وهاد الأرض لتعتدل فتصير بارزة ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾^(١).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ ﴿٢١﴾ أي مُرْصِدة لأهلها، وهم الطاغون ونحوهم.

والمآب^(٢): المرجع، أي يؤولون ويرجعون إليها، وكانت- يعني في علم الله عز وجل- أو ستكون و﴿الطاغون﴾ جمع طاغ: وهو المتجاوز حدّ ما ينبغي، ومنه: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾^(٣)، و﴿فرعون إنّه طغى﴾^(٤) والبلاد في (للتاغين) يجوز تعلقها بـ ﴿مرصاداً﴾ وبـ ﴿مآباً﴾ وبأيهما علقت قدّرت في الآخر، أو حذفقت اقتصاراً لوضوح الأمر^(٥).

﴿لابئين﴾ ماكثين مقيمين ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾^(٦)، ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾^(٧)، وهي نصب على الحال من الطاغين، ﴿أحقاباً﴾ جمع حُقب. وهو ثمانون سنة^(٨). وأحقاب جمع قلة، استعمل مكان جمع الكثرة، لأن مقام هؤلاء فيها لا يتناهى، وظاهر اللفظ يقتضي مقامهم فيها

(١) سورة طه: الآية ١٠٧.

(٢) تمام الآيتين ٢٢، ٢٣ ﴿للتاغين مآباً. لابئين فيها أحقاباً﴾.

(٣) سورة الحاقة: الآية ١١.

(٤) سورة طه: الآية ٢٤.

(٥) العكبري ٢/٢٧٩، والبحر ٨/٤١٣.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٧) سورة الكهف: الآية ١٩.

(٨) ينظر معنى الحقب في الطبري ٨/٣٠، والقرطبي ١٩/١٧٨.

ثمانمائة سنة، لأن أكثر جمع القلّة عشرة، وثمانون في عشرة ثمانمائة، ويجوز حمله على مقتضى ظاهره، ويثبت الزائد على ذلك بالدليل المنفصل.

﴿لا يذوقون﴾ في محل نصب على الحال: أي غير ذائقين فيها ﴿برداً ولا شراباً﴾ ﴿٢٤﴾ البرد ضد الحر، وقيل: النوم، لأنّه يبرد ظاهر اليدين لانقباض الحرارة إلى عمقه، وفي الشعر: **فإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطمع نقاخاً ولا برداً**^(١) والشراب: ما يشرب من ماء وغيره.

﴿إلا حميماً وغساقاً﴾ ﴿٢٥﴾ استثناء متصل^(٢) من (شراب) لأن الحميم والغساق: ما يعاب بتأتي شربهما، والحميم: المائع الحار. والغساق: الصديد والرطوبات السائلة من أهل النار. يقال: غسق الجرح: إذا سال منه ذلك. ونصب ﴿حميماً وغساقاً﴾ على أصل الاستثناء، أو على تقدير: يذوقون جزاء وفاقاً: أي يجزون بذلك جزاءً وفق جزائهم^(٣) وقد ثبت بالعيان أن كفر الكفار، ومعصية العصاة بالفعل منقطعة، وعذابهم في النار مؤبد لا يبيد، وقد أخبر الله عزّ وجلّ أن ذلك وفق ذنوبهم، ومن المعلوم أن المنقطع لا يطابق غير المنقطع حتى تكون وفاقاً له، فظهر أن عذابهم المؤبد إنما هو وفق معصيتهم بالقوّة والنية والعزيمة، لأنهم كانوا عازمين على أنهم لو عاشوا أبداً لكانوا عاصين.

(١) البيت للعرجي - ديوانه ١٠٩، وتفسير غريب القرآن ١٤٦، والبحر ٤١٤/٨، التفاح: الماء.

(٢) ينظر المشكل ٤٥١/٢، والبحر ٤١٤/٨.

(٣) في قوله تعالى الآية ٢٦: ﴿جزاءً وفاقاً﴾: ينظر العكبري ٢٧٩/٢.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿٢٧﴾ هذا
 تعليل لتعذيبهم، أي عذبناهم هذا العذاب لأنهم كانوا لا يرجون:
 يخافون، ومثله: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ اللَّهِ وَقَارًا﴾^(١) والرجاء مشترك بين
 الخوف والأمل. والمعنى: كانوا لا يؤمنون به فيخافوه ﴿وَكَذَّبُوا﴾
 عطف على ﴿كَانُوا﴾ ﴿بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ ﴿٢٨﴾ مصدر كذب تكذيباً
 وكذباً بالتشديد والتخفيف^(٢).

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾^(٣) من ياب الاشتغال، نحو ﴿وَالْقَمَرَ
 قَدْرَنَاهُ﴾^(٤) و﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ أطقناه كتابة: أي قدرنا على كتابته
 وضبطه، والظاهر: عددناه وكتبناه، نحو: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ
 مُسْتَطَرٌّ﴾^(٥).

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ﴿٣٠﴾ أي يقال لهم:
 ذوقوا، وهو كناية عن الإحساس بالعذاب، واستعير له الذوق، لأنه
 إحساس خاص، وهذا معنى ﴿وَإِنْ يَسْتَعْثِبُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ
 كَالْمُهْلِ﴾^(٦)، ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا
 فِيهَا﴾^(٧).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ﴿٣١﴾ إما مصدر فاز

(١) سورة نوح: الآية ١٣.

(٢) أي كذاباً وكذباً. وله مصادر أخر. القاموس - كذب.

(٣) تمام الآية ٢٩: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾.

(٤) سورة يس: الآية ٣٩.

(٥) سورة القمر: الآية ٥٣.

(٦) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٧) سورة الحج: الآية ٢٢.

بمعنى الفوز وإن لم يكن قياساً، أو جمع مفازة كقوله عز وجل: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَاتِهِمْ﴾^(١). ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(٢) والفوز: البقاء والفلاح.

﴿حِدَائِقَ وَأَعْنَاباً﴾^(٣٢) بدل من ﴿مَفَازَ﴾ جمع حديقة وعنب.

﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَاباً﴾^(٣٣) جمع كاعب، وهي التي كعب ثدياها: أي ارتفعا، وجمع ترب: وهو القرين، أي هن قرائن متقاربات في السن.

﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾^(٣٤) أي مملوءة من شراب الجنة الرحيق وغيره.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً﴾ كلاماً لا فائدة له ﴿وَلَا كِذَاباً﴾^(٣٥) كذباً.

﴿جِزَاءً﴾ نعت أو بدل من المنصوبات المتقدمة، أي إن للمتقين جزاءً، كواعب ونحوها، أو تقديره: وجعلنا ذلك ﴿جِزَاءً﴾، نصب بعامل مقدر ﴿مَنْ رَبِّكَ﴾ أي من فضل ربك أو مبداه. ﴿عِظَاءً حِسَاباً﴾^(٣٦) نعت لما سبق أو بدل. و﴿حِسَاباً﴾ أي مُحْسِباً كافياً، من: أحسبني الشيء: إذا كفاني.

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ﴾ يجوز جرّ ﴿رَبِّ﴾ نعتاً لـ ﴿رَبِّكَ﴾ ورفعه على إضمار مبتدأ: أي هو ربّ. ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ في إعرابه

(١) سورة الزمر: الآية ٦١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٨.

الوجهان^(١). ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ﴿٢٧﴾ فيه احتمالان: أحدهما: لا يملكون تحصيل خطاب منه إلا بفضل. الثاني: أن بسببه لا يملكون أن يتكلموا بين يديه، كقوله عز وجل: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ يحتمل أن ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لحصول المفاز، تقديره: إن للمتقين مفازاً يوم يقوم الروح، ويسير هذا إلى معنى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾^(٢) الثاني: أن تقديره: يوم يقوم الروح لا يملكون منه خطاباً. والروح - قيل: عالم أخفى من الملائكة، لا تراهم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة، وقيل: هو ملك واحد يقوم صفّاً وحده، والملائكة جميعهم صفّاً^(٣). وظاهر الآية أن الروح والملائكة جميعاً صفّ واحد، إلا أن يُراد جنس الصفّ، فتتعدّد الصفوف، نحو: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٤) ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ يحتمل أن المراد الملائكة أو الكفار، أو الجميع، وهو أولى ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ يحتمل الإذن القولي بأن يقال له: تكلم، أو الكوني بأن يُلهم الكلام ويسر له، وكذلك ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٥)

(١) قراءة عاصم وحزمة والكسائي وابن عامر بخفض ﴿رَبِّ﴾ وأبو عمرو ونافع وابن كثير برفعها. وقرأ عاصم وابن عامر بخفض (الرحمن) ورفعها سائر السبعة. ينظر القراءات وتوجيهها في السبعة ٦٦٩، والكشف ٣٥٩/٢، والمشكل ٤٥٣/٢، والطبري ١٤/٣٠، والعكبري ٢٨٠/٢.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٣.

(٣) الطبري ١٥/٣٠، والقرطبي ١٨٦/١٩، والدر المنثور ٣٠٩/٦.

(٤) سورة الفجر: الآية ٢٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

ونحوها. ﴿وقال صواباً﴾ ﴿٢٨﴾ قيل: لا إله إلا الله، والأولى حملة على عموم الصواب المستدعي شرعاً، وإن كان لفظ الآية مطلقاً^(١).

﴿ذلك اليوم الحق﴾ أي الذي يقع فيه الحق والعدل، أو اليوم الثابت الوقوع، من حق يحق ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ ﴿٣٩﴾ هذا صيغته صيغة التخيير، وليس كذلك، إنما هو ضرب وعيد وتهديد، نحو: ﴿ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾^(٢) أو ضرب تحريض على اتخاذ المثاب، إذ ليست مشيئة الإنسان مستقلة بما يريد منه أمر دين ولا دنيا.

﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ هذا خطاب للكفار المكذبين الطاغين. ﴿عذاباً قريباً﴾ بالنسبة إلى إمهال الله عز وجل عباده، أو بالنسبة إلى ما علمه بقي من أعمارهم، وإشارة إلى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾^(٣).

﴿يوم﴾ ظرف لوقوع العذاب ﴿ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ إما حقيقته، أو جزاءه ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ ﴿٤٠﴾ لما عاين من العذاب ﴿يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض﴾^(٤) يقال: إن البهائم بعد حشرها والحكم بينها

(١) ينظر الطبري ١٦/٣٠، والقرطبي ١٨٧/١٩، والدر المنثور ٦/٣١٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٣) سورة النحل: الآية ٧٧.

(٤) سورة النساء: الآية ٤٢.

تصير تراباً، ويؤمر بالكافر إلى العذاب، فحينئذ يتمنى لو كان
بهيمة يصير تراباً.

* * *

هذا آخر الإملاء، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً(*) .

(*) وختمت المخطوطة بـ (قال مملية: أنهاه كاتبه سليمان البغدادي في السابع
عشر من رجب سنة إحدى عشرة وسبعمائة بحبس رحبة باب العيد من
القاهرة المعزّية، حرسها الله وسائر بلاد الإسلام، حامداً لله عز وجل، مصلياً
على رسوله عليه السلام).